مَكَانَةُ الْأَخِ الْكَبِيرِ

الْخُطْبَةُ الْأُولَى:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْأَخَ نِعْمَةً تُشْكَرُ، وَهِبَةً تُذْكَرُ، وَقُوَّةً تُدَّخَرُ، وَسَنَدًا بِهِ يُفْتَخَرُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَمَنْ تَبِعَ هُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَأُوصِيكُمْ **عِبَادَ اللَّهِ** وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ، قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ**﴾[1].

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ: الْأَخُ الْكَبِيرُ، وَمَا أَدْرَاكُمْ مَا الْأَخُ الْكَبِيرُ؟ قِطْعَةٌ مِنَ الرُّوحِ، وَنَبْضٌ مِنَ الْقَلْبِ، أَنِيسُكَ فِي الطُّفُولَةِ، وَصَاحِبُكَ فِي الصِّبَا، وَعَوْنُكَ فِي الشَّبَابِ، ثُمَّ هُوَ أَبُوكَ بَعْدَ أَبِيكَ، وَسَنَدُكَ الَّذِي يَحْمِيكَ، إِذَا ذُكِرَ ذُكِرَتِ الْقُوَّةُ، وَإِذَا حَضَرَ حَضَرَتِ الْحِكْمَةُ، وَإِذَا دُعِيَ جَاءَ الْعَوْنُ، إِنَّهُ الْمُحِبُّ الشَّفِيقُ، وَهُوَ نِعْمَ الرَّفِيقُ، وَالْمَلْجَأُ وَقْتَ الضِّيقِ، يَشُدُّ أَزْرَكَ، وَيُقَوِّي عَضُدَكَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ أَخِيهِ: ﴿**اشْدُدْ بِهِ**

أَزْرِي* وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾[٢]، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ دُعَاءَهُ، فَقَالَ لَهُ: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾[٣].

فَكَيْفَ نَقُومُ بِحَقِّ الْأَخِ الْكَبِيرِ يَا عِبَادَ اللَّهِ؟ بِأَنْ نَعْرِفَ قَدْرَهُ، وَنُدْرِكَ مَكَانَتَهُ، فَمَنْزِلَتُهُ مِنَ الْبِرِّ وَالْإِكْرَامِ؛ تَأْتِي فِي مُقَدِّمَةِ أُولِي الْأَرْحَامِ، بَعْدَ الْأَبِ وَالْأُمِّ وَالْأُخْتِ؛ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**بَرَّ أُمَّكَ وَأَبَاكَ، وَأُخْتَكَ وَأَخَاكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ**»[٤].

وَبِرُّ الْأَخِ الْكَبِيرِ يَكُونُ بِصِلَتِهِ وَمَوَدَّتِهِ، وَتَعَاهُدِهِ وَزِيَارَتِهِ، وَالسُّؤَالِ عَنْهُ وَعَنْ أَوْلَادِهِ، وَإِيثَارِهِ وَإِهْدَائِهِ، فَقَدْ أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حُلَّةً، فَكَسَاهَا عُمَرُ أَخًا لَهُ[٥].

وَيَكُونُ بِرُّ الْأَخِ الْكَبِيرِ بِإِكْرَامِهِ وَتَقْدِيرِهِ، وَتَبْجِيلِهِ وَتَوْقِيرِهِ، اسْتِجَابَةً لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُوَقِّرْ كَبِيرَنَا**»[٦]. كَمَا يَكُونُ بِالْإِنْصَاتِ إِلَى رَأْيِهِ، وَاسْتِثْمَارِ خِبْرَتِهِ، وَطَلَبِ مَشُورَتِهِ، فَقَدْ سُئِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَا خَيْرُ مَا أُعْطِيَ الْإِنْسَانُ؟ فَكَانَ مِمَّا ذَكَرَ: أَخٌ شَفِيقٌ يَسْتَشِيرُهُ[٧]، فَهُوَ لَا يَغُشُّهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، بَلْ عَلَى الْخَيْرِ يَدُلُّهُ، وَإِلَى الصَّوَابِ يُوَجِّهُهُ، وَيُحِبُّ لَهُ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَحَدِ أَصْحَابِهِ: «**أَتُحِبُّ الْجَنَّةَ؟**». قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ ﷺ: «**فَأَحِبَّ لِأَخِيكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ**»(٨). أَيْ: أَحِبَّ لِأَخِيكَ مِنَ النَّسَبِ وَغَيْرِهِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ مِنَ الْخَيْرِ(٩).

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ مِنْ وَاجِبِنَا تُجَاهَ الْأَخِ الْكَبِيرِ، أَنْ نُثَمِّنَ حَسَنَتَهُ، وَنَغْفِرَ زَلَّتَهُ، وَلَا نَسْتَسْهِلَ قَطِيعَتَهُ، يَقُولُ الشَّاعِرُ:

وَلَا تَقْطَعْ أَخًا لَكَ عِنْدَ ذَنْبٍ * فَإِنَّ الذَّنْبَ يَغْفِرُهُ الْكَرِيمُ**(١٠)

فَمَا بَالُ بَعْضِ النَّاسِ لِإِخْوَتِهِمْ وَأَخَوَاتِهِمْ مُقَاطِعِينَ، وَعَنْ حُقُوقِهِمْ غَافِلِينَ، تَجِدُ أَحَدَهُمْ لَا يَسْأَلُ عَنْهُمْ، وَلَا يَتَحَدَّثُ مَعَهُمْ، بِسَبَبِ خِلَافَاتٍ مَادِّيَّةٍ، أَوْ كَلِمَةٍ عَابِرَةٍ، أَوْ سُوءِ ظَنٍّ أَوْ وِشَايَةٍ، أَوْ خَطَإٍ غَيْرِ مَقْصُودٍ. أَلَا فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ رَبَّهُمْ، وَلْيَحْذَرُوا وَعِيدَ نَبِيِّهِمْ، الْقَائِلِ ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ**»(١١).

فَاللَّهُمَّ اجْعَلْنَا لِأَرْحَامِنَا وَاصِلِينَ، وَبِالْأَخِ الْكَبِيرِ بَارِّينَ، وَوَفِّقْنَا لِطَاعَتِكَ، وَطَاعَةِ مَنْ أَمَرْتَنَا بِطَاعَتِهِ فِي قَوْلِكَ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾(١٢).

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ

فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَ هَدْيَهُ.

أَمَّا بَعْدُ: فَيَا أَيُّهَا الْأَخُ الْأَكْبَرُ: عَلَى قَدْرِ مَكَانَتِكَ وَمَنْزِلَتِكَ؛ تَكُونُ مُهِمَّتُكَ وَمَسْؤُولِيَّتُكَ، فَلَا تَشْرِيفَ إِلَّا بِتَكْلِيفٍ، وَلَا فَضْلَ إِلَّا بِبَذْلٍ، أَنْتَ بَيْنَ إِخْوَتِكَ كَالْمِيزَانِ الْعَادِلِ، يُقَوِّمُ كُلَّ مَائِلٍ، بِصَوْتِ الْعَقْلِ تَنْصَحُهُمْ، وَبِلِسَانِ الْحِكْمَةِ تُوَجِّهُهُمْ، وَبِالرَّحْمَةِ تُظَلِّلُهُمْ، وَبِالْمَوَدَّةِ تُؤَلِّفُ قُلُوبَهُمْ، وَعَلَى شُؤُونِ الْحَيَاةِ تُسَاعِدُهُمْ، وَبِالنُّصْحِ تَمُدُّهُمْ، وَتُصْلِحُ عِنْدَ الْخِلَافِ بَيْنَهُمْ، اسْتِجَابَةً لِأَمْرِ رَبِّكَ: ﴿**فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ**﴾(١٣). فَأَنْتَ ظِلُّهُمْ، فَحَذَارِ أَنْ تُضَيِّعَ حَقَّهُمْ، أَوْ تُقَصِّرَ فِي مَسْؤُولِيَّتِكَ تُجَاهَهُمْ، وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا لَدَيْهِمْ، أَوْ يَدَيْكَ إِلَى أَمْوَالِهِمْ؛ فَإِنَّ عَاقِبَةَ ذَلِكَ وَخِيمَةٌ، وَآثَارَهُ السَّيِّئَةَ جَسِيمَةٌ. أَلَا فَكُنْ لَهُمْ مُنْصِفًا، وَعَلَى نَفْعِهِمْ حَرِيصًا، وَلَا تَقْطَعْ رَحِمَكَ مَعَهُمْ، فَأَنْتَ قُدْوَتُهُمْ وَأُسْوَتُهُمْ، بِكَ تَتَمَاسَكُ الْعَائِلَةُ، وَتَظَلُّ الرَّحِمُ مُتَّصِلَةً، وَالْأُخُوَّةُ قَوِيَّةً، وَذَلِكَ كُلُّهُ خَيْرٌ لَكَ عِنْدَ رَبِّكَ، وَفِيهِ بِرٌّ لِوَالِدِكَ، وَدَرْسٌ لِوَلَدِكَ، وَصَوْنٌ لِسُمْعَةِ عَائِلَتِكَ، وَإِحْسَانٌ إِلَى مُجْتَمَعِكَ، وَوَفَاءٌ لِوَطَنِكَ.

عِبَادَ اللَّهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(١٤).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا وَنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا بِكَ مُؤْمِنِينَ، وَلَكَ عَابِدِينَ، وَإِلَيْكَ مُنِيبِينَ، وَلِإِخْوَتِنَا وَأَخَوَاتِنَا وَاصِلِينَ، وَلَهُمْ مُقَدِّرِينَ، وَبِوَالِدِينَا بَارِّينَ، وَارْحَمْهُمْ كَمَا رَبَّوْنَا صِغَارًا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ أَدِمْ عَلَى دَوْلَةِ الْإِمَارَاتِ الِاسْتِقْرَارَ، وَالرُّقِيَّ وَالِازْدِهَارَ، وَأَتِمَّ اللَّهُمَّ الْعَافِيَةَ عَلَيْنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي أَرْزَاقِنَا، وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا.

اللَّهُمَّ وَفِّقْ رَئِيسَ الدَّوْلَةِ، الشَّيْخَ مُحَمَّد بن زَايد، وَنُوَّابَهُ وَإِخْوَانَهُ حُكَّامَ الْإِمَارَاتِ، وَوَلِيَّ عَهْدِهِ الْأَمِينَ؛ لِمَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ.

اللَّهُمَّ ارْحَمِ الشَّيْخ زَايد، وَالشَّيْخ رَاشِد، وَالْقَادَةَ الْمُؤَسِّسِينَ، وَأَدْخِلْهُمْ بِفَضْلِكَ فَسِيحَ جَنَّاتِكَ، وَاشْمَلْ شُهَدَاءَ الْوَطَنِ بِرَحْمَتِكَ وَغُفْرَانِكَ. اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ: الْأَحْيَاءَ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتَ.

اللَّهُمَّ اسْقِنَا الْغَيْثَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا.

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾(١٥).

عِبَادَ اللَّهِ: اذْكُرُوا اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ يَزِدْكُمْ. وَأَقِمِ الصَّلَاةَ.

---

(١) النساء: ١.
(٢) طه: ٣١-٣٢.
(٣) القصص: ٣٥.
(٤) المستدرك على الصحيحين: ٧٢٤٥.
(٥) مسلم: ٢٠٦٨.
(٦) أحمد:٩٦٣٧.
(٧) سير أعلام النبلاء: ٣٧٦/٧، وشعب الإيمان: ٤٣٥٤.
(٨) أحمد: ١٧١٠٧.
(٩) شرح البخاري للسفيري: ٣٩٣/١
(١٠) الحلم لابن أبي الدنيا: ص: ٧٣.
(١١) متفق عليه.
(١٢) النساء: ٥٩.
(١٣) الحجرات: ١٠.
(١٤) الأحزاب: ٥٦.
(١٥) البقرة: ٢٠١.